﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾[سورة القيامة: 16]
"دراسة تفسيريّة مُقارنة"

أفنان حسام رحّال* أ.د. جهاد النصيرات**

تاريخ وصول البحث: 2020/6/10م تاريخ قبول البحث: 2020/12/27م

ملخص

تتناول الدراسة قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾[سورة القيامة:16] بدراسة تفسيرية مقارنة، بهدف بيان اختلاف المفسرين في الآية وتحديد موطن الخلاف فيها، مع التعرف على أدلتهم التي استندوا عليها فيما ذهبوا إليه، ثمّ الترجيح بين هذه الآراء وفق منهجية علمية سليمة، وتظهر أهمية الدراسة في تقديمها دراسة تطبيقية في التفسير المقارن الذي يعدّ من ألوان التفسير التي لا زالت المكتبة التفسيرية بحاجة لتطبيقات عليه، وقد اتُبع فيها عدد من المناهج؛ كالمنهج الاستقرائي، والوصفي النقدي، والمقارن، والاستنباطي، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مختلفة من أبرزها؛ أنّ موطن النزاع كان في ثلاثة قضايا: أولها؛ تحديد المخاطب في الآية وقد ترجّح أنّه النبيّ ﷺ، وثانيها؛ تحديد علة الاستعجال في تحريك لسانه عند قراءة القرآن، وتبيّن أنها ترجع لأسباب مختلفة منها: حرصه على الدعوة، وخوفه من النسيان، وثالثها؛ تحديد معنى النهي في الآية، وتبيّن أنّه محمول على معناه، وفيه مزيد طمأنينة في حفظ القرآن الكريم.

الكلمات الدالة: لا تحرك لسانك، تفسير، مقارن.

"Move not thy tongue concerning the (Qur'an) to make haste therewith" A comparative explanatory study

Abstract

The study is addressing the Almighty saying: "Move not thy tongue concerning the (Qur'an) to make haste therewith" (Al-QeyamahV.16), in a comparative expository study, that is aiming to clear the different interpretation of the verse, and determine the debated aspect about its meaning and to recognize the evidences that been provided on in order to prove their theory, then to weighting between these theories in a valid sceintifical method.

The significant effect in this appears in an applied study in the comparative interpretation in which is considered as one of the Interpretation methods, in which the construing library is still needs an applications on it, many curriculums been followed in it such as: the extrapolation, the descriptively vetoing, the comparativeness, and the deductive methods.

* باحثة – afnan_rahhal90@hotmail.com

** أستاذ، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

The study has resulted on the following facts in which the main point of debate was in determining the addressee identity, it was most likely agreed that is the prophet peace be upon him, and the prophet's hastiness while reciting the Quran was due to his abidance to the call and out of fear of forgetfulness، and the forbidding in the Verse was meant to its' meaning and to provide more tranquility to be saved by heart "Quran".

Key words: do not move your tongue, expository, comparative.

المقدمة.

الحمد لله حمدًا يوازي فضله ونعمه، الحمد لله منزل الكتاب وجاعله كتاب الهداية والرشاد، والصلاة والسلام على خير الخلق والأنام، الهادي إلى سبل الحقّ الحافظ لكتاب الله الحريص على أمته سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

فإنّ الله تعالى قد امتنّ على البشرية بحفظ كتابه من التحريف والتبديل، وقد كان من أشكال حفظه أن هيأ لهذا الكتاب من يفسر آياته ويبين معاني مفرداته، لكن لمّا كانت سنة الاختلاف هي سنة من سنن الله تعالى في الأرض، ولمّا كان القرآن الكريم حمّال ذو وجوه، اختلفت الآراء بين المفسرين في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وظهرت هنا الحاجة إلى دراسة هذه الآراء وبيان نوع الاختلاف فيها وتحديد موطنه، ومن هنا ظهر لون تفسيريّ جديد سُميّ بـــــــ" التفسير المقارن"، والذي تقوم مهمته على دراسة الآراء التفسيرية من خلال جمعها والموازنة بينها وفق منهجية علمية منضبطة، للوصول إلى رأي في موطن الخلاف في الآية، علمًا بأنّ هذه الاختلافات منها ما يكون خلافًا حقيقيًّا يحتاج معه الباحث أن يتمعن في الأدلة ليدرك الراجح بين هذه الآراء والصحيح منها أو يجد رأيًا جديدًا في المسألة، ومنها ما هو خلاف صوريّ يتمكن فيه الباحث من الجمع بين الآراء.

مشكلة الدراسة.

لمّا كان الاختلاف واقعًا بين المفسرين في فهم آيات كتاب الله تعالى، جاءت هذه الدراسة تتناول قوله تعالى: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾**[القيامة: 16]، بدراسة تفسيرية مقارنة، وتظهر مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما حقيقة الاختلاف ونوعه الذي وقع بين المفسرين في قوله تعالى: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾**[القيامة: 16]؟

وينبثق عنه الأسئلة الآتية:

1- ما الآراء التفسيرية حول هذه الآية؟

2- ما الأدلة التي اعتمدت عليها هذه الآراء؟

أهمية الدراسة.

تظهر أهمية هذه الدراسة في كونها:

1- تقدّم نموذجًا تطبيقيًا في التفسير المقارن، والذي يعدّ من الألوان التفسيرية التي ما زالت غضة من الناحية التأصيلية والتطبيقية، مما يضيف للمكتبة التفسيرية المقارنة محاولةً جديدةً من الناحية التطبيقية.

2- تقدم نموذجًا تطبيقيًا يفيد منه الدارسون والباحثون في المجال القرآنيّ التفسيريّ، ويفيد منه الباحثون في القضايا المشكلة في القرآن الكريم.

3- تعالج الإشكال وتحرر موطن النزاع في الآية الكريمة، وتبيّن آراء المفسرين وأدلتهم التي اعتمدوا عليها فيما ذهبوا إليه، وكيفية استدلالهم بهذه الأدلة على رأيهم.

أهداف الدراسة.

من خلال ما سبق فإن الدراسة تهدف إلى:

1- تحديد الآراء التفسيرية وموطن الخلاف في الآية.

2- تحديد الأدلة التي اعتمد عليها المفسرون لترجيح آرائهم.

3- بيان نوع الخلاف بين المفسرين ومن ثمّ بيان الراجح في تفسير الآية جمعًا للآراء أو ترجيحًا بينها أو بإيجاد قولٍ جديدٍ.

منهجية الدراسة.

اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال جمع الآراء من كتب التفسير، وجمع الأدلة التي أشار إليها المفسرون.

2- المنهج الوصفي النقدي: وذلك من خلال عرض آراء المفسرين وتقييمها.

3- المنهج المقارن: وذلك من خلال الموازنة بين الآراء التفسيرية مع أدلتها للوصول إلى رأي في المسألة.

4- المنهج الاستنباطي: وذلك من خلال تحليل الآراء والأدلة عند المفسرين واستنباط رأي في المسألة.

الدراسات السابقة.

لم يقف الباحثان بحسب اطلاعهما على دراسة تناولت سورة القيامة من زاوية التفسير المقارن، سوى رسالة واحدة بعنوان **(التفسير المقارن للآيات كريمات من سورة الواقعة إلى سورة الناس)** للدكتور باسل علي الخطبان، وهي رسالة دكتوراه قُدمت لجامعة العلوم الإسلامية، عام (2013م)، ضمن مشروع التفسير المقارن الذي قامت به الجامعة، وقد تناول الباحث سورة القيامة وبعض آياتها بدراسة مقارنة، ولم تكن من ضمنها آية الدراسة، لكن وقف الباحثان على عدد من

الأبحاث المتعلقة بسورة القيامة والتي كانت الدراسة فيها من الناحية التحليلية أو البلاغية أو الموضوعية، مما يجعل هذه الدراسة تختلف عمّا سبقها في كونها تتناول آية من سورة القيامة بدراسة تفسيرية مقارنة، ومن هذه الأبحاث:

1) **(سورة القيامة دراسة تحليلية)** لعلي يوسف علي، وهي رسالة ماجستير قُدمت لجامعة أم درمان، عام (1992م)، وتحدث فيها عن ارتباط الآيات الأربع بالسورة من ناحية بلاغية تحليلية.
2) **(وحدة السياق في سورة القيامة)** للدكتور حسن طبل، في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد(18)، عام (1995م)، وفيه عالج شبهة انقطاع قوله تعالى: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُۥ﴾**[القيامة: 16-19] عن سياق السورة من خلال الوحدة الموضوعية فيها، وقد أفاد الباحثان من هذا البحث في المقدمات التعريفية لسورة القيامة.
3) **(سورة القيامة دراسة بلاغية تحليلية)** للدكتور إبراهيم التركي، في مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (14)، عام (2010م)، تحدث فيه عن سورة القيامة من ناحية بلاغية للوقوف عند البيان القرآني فيها من خلال إظهار وجوه البلاغة في آياتها، وقد أفاد الباحثان من هذا البحث في المقدمات التعريفية لسورة القيامة.

خطة الدراسة.

تطلبت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، ومنهجيتها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

التمهيد: "بين يدي السورة": وفيه تعريف عام بالسورة وبيان الوحدة الموضوعية لها.

المطلب الأول: آراء المفسرين في الآية وموطن النزاع فيها، وفيه ثلاثة قضايا:

أولًا: الأقوال في المخاطب في الآية.

ثانيًا: الأقوال في سبب العجلة.

ثالثًا: الأقوال في نوع (لا) في الآية.

المطلب الثاني: أدلة المفسرين ومناقشتها، وفيه ثلاث قضايا:

أولًا: الخلاف في المخاطب في الآية.

ثانيًا: الخلاف في سبب العجلة.

ثالثًا: الخلاف في نوع (لا) في الآية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: بين يدي سورة القيامة.

سورة القيامة سورة مكية، وقعت في الجزء التاسع والعشرين، وهي الخامسة والسبعون في الترتيب المصحفيّ، نزلت بعد القارعة وقبل الهمزة، وهي الثلاثون في النزول عند الزركشي[1]، والحادية والثلاثون عند ابن عاشور[2]، لكن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الترتيب لا يُسلم به ما لم يثبت بنص عن النبيّ ﷺ، فقد تعددت واختلفت الروايات المتعلقة بترتيب سور القرآن بحسب النزول وكثير منها يفتقر للتحقيق، كما يذكر أنّه قد اختُلف في عدد آياتها؛ فهي أربعون آية في العدّ الكوفيّ بعدّه لـ ﴿لِتَعجَلَ بِهِ﴾، وتسع وثلاثون عند غيره لعدم عدّها[3]، أمّا علة تسميتها بهذا الاسم فقد أرجعه القاسميّ؛ "إلى تضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم"[4]، وحمله ابن عاشور على "وقوع القسم بيوم القيامة في أولها"[5]، وقال الألوسي: "يقال لها سورة لا أقسم"[6]، وقد يكون قوله هذا تبعًا لمطلعها، إلّا أنّ السيوطي لم يذكرها في السور ذات أكثر من اسم[7]، وفي اعتقاد الباحثين تبقى هذه التعليلات اجتهادية، ما لمّ يردّ نصّ صريح في علة التسمية.

تعدّ سورة القيامة من سور المفصّل التي فضّل الله تعالى بها النبيّ ﷺ عن سائر الكتب السماوية، كما جاء في بعض روايات فضائل القرآن[8]، وقال ابن عطية فيها: "روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها، فليقرأ هذه السورة"[9]، ولم يصح سبب نزول للسورة ككل، إلّا ما كان في سبب نزول الآية موطن الدراسة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

يدور محور السورة وتلتقي أشواطها حول بيان حقيقة الموت والبعث من خلال عرض أهوال يوم القيامة وحال الإنسان حينها، وبيان ما يلقاه كل واحدٍ بحسب عمله، مع عرضها لمشهد الاحتضار في تأكيدٍ لحقيقة الموت وانتهاء الدنيا العاجلة، التي هي السبب في غفلة الناس فهم مرتبطون بها وبحبها، متضمنة في كل هذا زجرًا عن حبّ التعجل في أيّ أمر، وكل هذا تحققه مقاطع السورة ومشاهدها بطريقة مبدعة يقول فيها سيد: "هذه السورة رغم قصرها وصغرها إلا أنّها تحشد على القلب البشري من الحقائق والمؤثرات والصور والمشاهد، ما لا قبل له بمواجهته ولا التفلت منه، وقد يكون المساعد على هذا التأثير أسلوبها التعبيريّ، أو الموسيقيّ"، ثمّ قال: "هذا النظم إنّما جاء بهذه الصورة ليعالج عناد القلب وإعراضه ولهوه، فهو يشعر بأنه محاصر بعمله لا يهرب منه ولا ملجأ من الله ﷻ يومها ولا عاصم"[10]، وبمثل هذا قال ابن عاشور في أغراض السورة[11]، وبمثله قدّم الصابوني للسورة[12]،وقد قيل من مقاصدها: إظهار قدرة الله ﷻ على جمع الخلق وبعثهم من جديد[13].

مقاطع السورة:

اختلف المفسرون في تقسيم مقاطع السورة وأشواطها؛ تبعًا لنظرتهم في الآيات والهدف الذي يريدون تحقيقه من التقسيم؛ فمثلًا جعلها سيد في ستة أشواط يعالج كل واحدٍ منه موضوعًا يخدم محور السورة الذي وضعه، مع ربطه للأشواط بعضها مع بعض[14]، وتبعه وهبة الزحيلي في تقسيمه مع اختلافات بسيطة[15]، بينما سعيد حوّى ذهب إلى تقسيم الآيات بطريقة أخرى، فرأى أنّ السورة تتألف من مقدمة؛ مكونة من آيتين، ومن فقرتين كل منهما يبدأ بقوله: ﴿أَيَحسَبُ﴾؛ أمّا المقدمة

فهي قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ فبهذا تبدأ سورة القيامة بقَسمين لا تجيب عليهما؛ لأن الجواب مفهوم من سياق السورة، فهو قسّمها إلى فقرتين معتمدًا على رؤوس الآي المتشابهة، ثم بعد ذلك قسّم الآيات في الفقرة إلى مجموعات تبعًا للموضوع الذي تعالجه، وقد أجاد في هذا التقسيم والربط حتى أنّ كل مجموعة تسلم المجموعة التي تليها زمام إتمام المعاني التي تطرحها هذه السورة، ولا يفوتنا الذكر أن سعيد حوى يحاول ربط محاور سور القرآن بمحاور سورة البقرة[16]، وقد رأى الباحثان أنّ أجودها في التقسيم هو ما ذهب إليه سعيد حوّى.

علاقات السورة:

أولًا: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها:

الناظر في سور القرآن الكريم يعلم أنّ بين هذه السور وشائج وصلات، خاصّة إن كان ممن يعتقد أن ترتيبها على هذه الصورة إنما هو توقيفيّ من الله تعالى، وقد بحث المفسرون العلاقات بين السور وحاولوا أن يجدوا الصلات بينها.

وقد جاءت سورة القيامة مسبوقة بسورة المدثر التي جاءت للأمر بالنهوض بالدعوة وتوعد المكذبين بها، وكان هذا الأمر بلفظ الإنذار (قم فأنذر)، والإنذار فيها كان للتذكير بيوم القيامة وحتمية وقوعه والتخويف من أهواله، إلّا أنّ هذا الإنذار واجهه الكفار بالتكذيب، ممثلةً على حالة التكذيب هذه بأحد المكذبين، وبيان حالته في التكبر وإصراره على ما هو عليه رغم الإنذار، معتدًا بما أوتي من مال وولد، فبيّنت السورة أنّ هذا لن ينفعه، فمصيره إلى سقر التي لا تبقي ولا تذر، ليكون بسط القول في سورة القيامة وبيان أهوال ذلك اليوم وانقلاب الكون المحكم، مع بيان مشهد الحساب والبعث، وبيان حالة الاحتضار التي هي أول منازل الآخرة، مبتدئة هذا بسؤال إنكاريّ موجهٍ لمن كذب بذلك اليوم بقوله: ﴿أَيَحسَبُ ٱلإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ وبسؤاله مرة أخرى بقوله: ﴿يَسـَٔلُ أَيَّانَ يَومُ ٱلقِيَٰمَةِ﴾ ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق أجمع في ذلك اليوم: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلإِنسَٰنُ يَومَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، فرسمت للمنكرين ذلك اليوم رسمًا دقيقًا حتى صار كالواقع المشاهد لهم[17].

أمّا التابعة لها فكانت سورة الإنسان وقد تبدو العلاقة بينهما جليّة، ذلك أن سورة القيامة التي عرضت انقلاب الكون والحياة، وكان فيها شدة تكاد بها الروح تبلغ الحلقوم، والتي عرضت حالة الاحتضار ونهاية الإنسان، وذكرته بأنّه ما كان إلّا نطفة امتنّ الله تعالى عليها بالرعاية حتى بلغت أشدها، جاءت سورة الإنسان تتمم هذا الكلام وتحدث الإنسان عن أصله وحكمة خلقه والغاية من وجوده على الأرض؛ لينتبه بهذا ويبتعد عن الكِبر ويعلم مكانه من هذا الوجود، ويتذكر بأنّ الحياة ما هي إلّا دار عبور، مبتدئة هذا باستفهام إنكاري يؤكد فيه لهذا الإنسان بأنّه لن يترك سدى، فتتأكد عنده حتمية البعث والحساب، وحقيقة الجزاء والجنة والنار[18].

فيمكننا مما سبق أن نقول أنّ سورة القيامة كونت مع ما قبلها وما بعدها، علاقة تكاملية تبدأ بأنّ المدثر قد جاءت للحديث عن يوم القيامة وحال المكذبين والمعاندين في الدنيا وحالهم في الآخرة، وأن نتيجة عنادهم تظهر يوم القيامة بعدم وجود شفيع لهم، لتأتي سورة القيامة وتتناول أحداثًا وأهوالًا لهذا اليوم كزيادة في الوعظ والإرشاد لهم، مع بيان سبب غفلتهم وهو

ارتباطهم بالدنيا وحبهم لها، وتزيد في الوعظ ببيان حال الإنسان وقت الاحتضار وخروج الروح، لتختم بتذكيره بأصل خلقته والهدف من خلقه، فتأتي بعد هذا سورة الإنسان وتبدأ بالتأكيد على أن الإنسان لم يخلق سدى بل كان خلقه لهدف معين، وتبيّن له أنه مخيّر في الطريق الذي يختاره، مع بيانها لعاقبة كل طريق، كما أكدت في خاتمتها أن الكفار وعنادهم سببه حب الدنيا العاجلة وغفلتهم عن الآخرة، فالسور الثلاثة تتحدث عن محاور متشابهة وهي؛ عناد الكفار وارتباط العناد بحب الدنيا العاجلة مع الغفلة عن الآخرة، كما تتناول بعضًا من أحداث يوم القيامة وأهواله وجزاء الكافرين والمتقين، لكن كل واحدة تعالج الموضوع من زاوية وبطريقة عرض مختلفة.

ثانيًا: علاقة الآيات موطن الدراسة بالسورة وشبهة الانقطاع فيها.

ذكر الرازي أنّ قومًا من قدماء الروافض زعموا أن القرآن قد غيّر وبدل وزيد فيه ونقص منه، واحتجوا عليه بأنه لا مناسبة بين قوله: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ**﴾ وبين ما قبلها، ولو كان هذا الترتيب من الله تعالى لما كان الأمر كذلك، وقد ذكر المفسرون لدفع هذا الإشكال عددًا من الآراء قد يكون أجمعها ما ذكره الرازي، إذ قال: إنّ المناسبة تظهر من وجوه كالآتي[19]:

1- الاستعجال المنهي عنه كان عند إنزال هذه الآيات، وهذا شبيه بالمدرس إذا كان يلقي على تلميذه شيئًا، فأخذ التلميذ يلتفت يمينًا وشمالًا، فيقول: المدرس في أثناء الدرس لا تلتفت يمينًا وشمالًا ثم يعود إلى الدرس، فإذا نُقل الدرس مع هذا الكلام، فمن لم يعرف السبب يقول: إن وقوع تلك الكلمة في أثناء الدرس غير مناسب، لكن من عرف الواقعة علم أنه حسن الترتيب، **نقول:** وقد سبق الخطابي الرازي بقول قريب منه[20]، ونقله فيما بعد الزركشيّ[21]،وقاله ابن جزيّ في التسهيل[22]، واعترض عليه الألوسي؛ لأنّ النظم الجليل بعيد عن هذا[23]، ويرجح الباحثان رأي الألوسي، كما أنّ هذا القول يزيد تأكيد شبهة الانقطاع.

2- إن الله تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون السعادة العاجلة: ﴿**بَل يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ**﴾[القيامة: 5] ثم بيّن أن التعجيل مذموم مطلقًا حتى التعجيل في أمور الدين: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ**﴾[القيامة: 16] وقال في آخر الآية: ﴿**كَلَّا بَل تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ**﴾[القيامة: 20]، **نقول:** وهذا وجه حسن مقبول في الربط، وقد ذكر الألوسيّ وجهًا قريبًا منه[24].

3- أن الله تعالى قال: ﴿**بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ**﴾[القيامة: 14-15]، فأظهر الرسولﷺ التعجل في القراءة خوف النسيان، فقيل له: إنك أتيت بهذا العذر لكنك تعلم أن الحفظ لا يحصل إلا بتوفيق الله تعالى فاترك التعجيل واعتمد على الله: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ**﴾[القيامة: 16-17]، **نقول:** في هذا الربط ما لا يليق بالنبيّ ﷺ، فحاشاه أن ينسى اعتماده على الله تعالى وإن خاف النسيان، فتعجله إن دل على شيء، فهو دالّ على حرصه على الآيات وحفظها.

4- كأن الله تعالى قال: يا محمد إن كان غرضـــك من التعجيل أن تحفظه وتبلغه إليهم ليدركوا قبح ما هم عليه، فلا حاجة لهذا، فالإنسـان على نفسـه بصـيرة، وهم بقلوبهم يعلمون ما هم عليه من منكر، فلا فائدة من التعجيل: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾**، **نقول:** وهذا وجه مقبول في الربط، ويدخل في حرصه ﷺ على تبليغ الدعوة.

5- الكافر يقول: **﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ ثم قال: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَومَئِذٍ ٱلْمُستَقَرُّ﴾**[القيامة:11-12]، فالكافر كأنه كان يفر من الله تعالى إلى غيره فقيل لمحمد: إنّ في طلب حفظ القرآن بالتكرار اســتعانة بغير الله تعالى، فاترك هذا واســتعن بالله تعالى، وكن كالمضـاد للكافر الذي يستعين بغير الله تعالى، حتى يحصـل لك مقصـودك: **﴿إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ﴾** [القيامة: 17]، وقال: **﴿وَلَا تَعجَل بِّٱلْقُرءَانِ مِن قَبلِ أَن يُقضَىٰٓ إِلَيكَ وَحيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلما﴾**[طه: 114]، **نقول:** في هذا الربط ما لا يليق بالنبيّ ﷺ، فحاشاه أن يكون مستعينًا بغير الله تعالى أو أن يكون قاصدًا هذا بتعجله.

6- ما ذكره القفال[25] أنّ الخطاب موجه للإنســان في: **﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلإِنسَـٰنُ يَومَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾**[القيامة: 13]، وذلك حين يعرض عليه كتابه فيقال له: **﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفسِكَ ٱليَومَ عَلَيكَ حَسِيبا﴾**[الإسراء: 14]، فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فيقال له: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾**، فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك وأن نقرأها عليك، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه، بالإقرار بأفعالك، ثم إن علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته، ففي الآية أشد الوعيد في الدنيا وأشد التهويل في الآخرة، ثم قال القفال: فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به، **نقول:** والآثار الصحيحة أولى بالقبول، فتدفع هذا القول.

وزاد آخرون بعض الوجوه في ارتباط الآية بموضعها ومنها:

1) "أن الله تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضًا عن آيات الله تعالى ومعجزاته، وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال النبيّ ﷺ الذي يمثل حال من يثابر على تعلم آيات الله تعالى وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها، فبضدها تتميز الأشياء، ثم رجع للحديث عن حال الإنسان منكر البعث الذي أكبر همه الدنيا وحطامها"، قاله أبو حيان.[26]

2) رفض السيوطي ما ذهب إليه القفال لأنه يخالف ما ثبت في الصحيح بأنها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه، ورفضه الألوسي كذلك[27]، ثم ذكر السيوطي وجوهًا لاتصال الآية بما سبقها، ومما زاده على الرازي: [28]

- إن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشـتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة، أردفه بذكر الكتاب المشـتمل على الأحكام الدينية في الدنيا، التي تنشـأ عنها المحاسـبة عملًا وتركًا كما في قوله: **﴿وَوُضِـعَ ٱلكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجرِمِينَ مُشـفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾**[الكهف: 49] إلى أن قال: **﴿وَلَقَد صَـرَّفنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلإِنسَـٰنُ أَكثَرَ شَـيءٍ جَدَلا﴾**[الكهف: 54]، وفي الإسـراء: **﴿فَمَن أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقرَءُونَ كِتَـٰبَهُم وَلَا يُظلَمُونَ فَتِيلا﴾**

[الإسراء: 71] إلى أن قال: ﴿وَلَقَد صَرَّفنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلقُرءَانِ مِن كُلِّ مَثَل فَأَبَىٰٓ أَكثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورا﴾ [الإسراء: 89]، وفي طه: ﴿يَومَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحشُرُ ٱلمُجرِمِينَ يَومَئِذ زُرقا﴾[طه: 102] إلى أن قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلمَلِكُ ٱلحَقُّۗ وَلَا تَعجَل بِٱلقُرءَانِ مِن قَبلِ أَن يُقضَىٰٓ إِلَيكَ وَحيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلما﴾[طه: 114]".

- وأضاف أن "النفس" لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى، كأنه قيل هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الأحوال، **نقول:** وقد يكون قصده أن أكمل الأحوال ترك العجلة.

3) "أنّ السر في كفر الكافرين باليوم الآخر؛ هو إرادة الإنسان في أن يفجر وأن يكون بعيدًا عن التكليف، والقرآن كتاب التكليف، فجاءت الآيات تبيّن للنبيّ ﷺ كيف ينبغي أن يكون تلقيه لكتاب التكاليف، الذي يحوي عددًا من الأمور منها علم الساعة، فيكون في الآيات رد ضمنيّ على إنكارهم للساعة، ثم جاءت الآيات التي تليها تتحدث عن الطبيعة البشرية، التي تحب الدنيا وتترك الآخرة"، قاله سعيد حوّى.[29]

بهذا يكون الباحثان قد حاولا استقصاء ما قيل في المناسبة بين الآيات وبقية السورة، وحتى نرجح بين الأقوال لا بد من الوقوف على سبب نزول الآية، فقد وردت في البخاري أربع روايات عن ابن عباس، مع اختلافات بسيطة في المتن، منها ما وردت بصيغة (فأنزل) وواحدة منها لم ترد فيها هذه الصيغة[30]، كذلك وردت روايتان في صحيح مسلم بصيغة (فأنزل) واللفظ قريب من لفظ البخاري[31]، ووردت في مسند أحمد روايتان[32]، ورواية في الترمذي قريبة مما في البخاريّ[33]، ورواية في النسائي[34]، وقد أشار لهذه الروايات وغيرها الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول[35].

ومن هذه الروايات ما رُوي في البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّك بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: "كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّك بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ﴾، قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه"[36]، وبقية الروايات تؤيد هذا المعنى مع اختلاف بسيط في المتن، فيثبت بها أنّ الآية قد نزلت تعلم النبيّ ﷺ كيفية تلقيه للوحي، وتطمأنه بأن الوحي سيحفظ في صدره بفضل من الله تعالى عليه فليس عليه التعجل في القراءة، وبناءً عليه فما أورده المفسرون من وجوه لاتصال الآيات منه ما قد يقبل ومنه ما قد يرفض؛ وأولاها بالرفض ما خالف الصحيح المأثور بأنّ المخاطب الإنسان، وإن كان عقلًا لا يُمنع وينسجم مع النصّ كمعنى، وكذلك ترفض عدد من الوجوه التي أوردها الرازي، مما لا يستقيم وجهًا لدفع شبهة الانقطاع، لكن الباحثان يريان أن أكثر الوجوه انسجامًا مع النص، ومع الصحيح المأثور الآتي:

1- ما أورده أبو حيان من أنه لما ذكر الإنسان المتغافل الذي يريد أن يفجر بشهواته، ذكر المقابل له الراغب بحفظ الآيات وتحصيلها، ثم عاد لذكر الإنسان الغافل مجددًا.

2- ما ذكره السيوطيّ بأن هذه عادة القرآن بأن يذكر الكتاب المشتمل على أعمال العباد في مقابل الكتاب المشتمل على الأحكام الدنيوية، وخاصة أن سياق هذه الآيات مشابه لسياق آيات سورة طه والتي ورد فيها النهي عن العجلة كذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعجَل بِٱلقُرءَانِ مِن قَبلِ أَن يُقضَىٰٓ إِلَيكَ وَحيُهُۥ﴾، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

3- ما قيل أنّ النهي عن العجلة في القرآن، يجعل العجلة في غيره من أمور الدنيا أولى بالدخول في النهي.

4- ما ذكره سعيد حوّى من أنه ذكر كتاب التكليف في متوسط ذكر علل الفرار من التكليف والتكذيب باليوم الآخر؛ ليكون ردًا ضمنيًا ومؤكدًا على وجود اليوم الآخر.

المطلب الأول: أقوال المفسرين في الآية.

إنّ الناظر في كتب التفسير يجد أنّ الأقوال التي وردت في هذه الآية متشعبة وكثيرة، إلّا أنّه وعند إمعان النظر فيها، فإنه من الممكن أن تصنف إلى ثلاثة أقوال رئيسة كالآتي:

أولًا: الأقوال في المخاطب في الآية.

1- المخاطب في الآية هو النبيّ ﷺ، وهذا ما نقله جمهور المفسرين.

2- المخاطب في الآية هو الإنسان، ذكره الرازي[37]، والبيضاوي[38]، وأبو حيان[39] جميعهم نقلًا عن القفال.

ثانيًا: الأقوال في سبب العجلة.

1- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ هو حبه وتشوقه لحفظ آيات القرآن الكريم، ذكره الطبريّ نقلًا عن ابن عباس والشعبي[40]، وابن فورك نقلًا عن ابن عباس[41]، ومكي بن أبي طالب[42]، والماوردي نقلًا عن عامر الشعبي[43]، والسمعاني نقلًا عن الضحاك[44]، والقرطبي نقلًا عن عامر الشعبي[45]، وابن عادل نقلًا عن عامر الشعبي[46]، وعبد الكريم الخطيب[47].

2- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ حبه وحرصه على الدعوة، ذكره ابن عطية نقلًا عن عامر الشعبي[48]، وأبو حيان نقلًا عن عامر الشعبي[49]، والألوسي نقلًا عن عامر الشعبي[50].

3- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ مخافة نسيانه، ذكره الطبري نقلًا عن قتادة[51]، وابن فورك نقلًا عن مجاهد وقتادة[52]، ومكي بن أبي طالب نقلًا عن ابن عباس[53]، والماوردي نقلًا عن ابن عباس[54]، والسمعاني[55]، والبغوي[56]، والزمخشريّ[57]، وابن عطية نقلًا عن الضحاك[58]، والقرطبي نقلًا عن ابن عباس[59]، وابن جزيّ[60]، وأبو حيان نقلًا عن الضحاك[61]، وابن كثير نقلًا عن ابن عباس[62]، وابن عادل نقلًا عن عامر الشعبي[63]، والسيوطي نقلًا عن قتادة[64].

4- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ مخافة أن يذهب منه ما يوحى إليه، ذكره البيضاوي[65]، والنسفيّ[66]، وأبو حيان نقلًا عن ابن عباس[67]، والخطيب الشربيني[68].

5- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، ذكره ابن كثير عن الشعبي والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك[69].

6- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ مخافة ألّا يحفظه، ذكره الواحدي نقلًا عن ابن عباس[70]، وابن الجوزي نقلًا عن ابن عباس[71]، والرازي نقلًا عن ابن عباس[72]، وذكر نحوه أبو السعود فقال: كان يفعل ذلك مسارعةً إلى الحفظ وخوفًا من أن ينفلت منه[73]، وذكر نحوه الشوكاني فقال: يسارع في حفظه مخافة أن ينفلت منه[74]، وبمثله نقله الألوسي عن ابن عباس.[75]

7- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ أنه كان يقرأ القرآن ولا يفتر مخافة أن ينساه، ذكره الطبري نقلًا عن ابن عباس وقتادة[76]، والثعلبيّ[77]، والسيوطي نقلًا عن ابن عباس[78]، ومن الواضح أن هذا الرأي يفيد أن العجلة والتحريك قد وقعا منه ليس في أثناء الوحي، بل في حياته بشكل عام.

8- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ أنه كان يستذكر القرآن مخافة نسيانه، ذكره الطبري نقلًا عن مجاهد والحسن[79]، والسيوطي نقلًا عن مجاهد[80]، وذكر نحوه ابن جزيّ فقال: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه[81]، ومن الواضح أن هذا الرأي يفيد أن العجلة والتحريك قد وقعا منه ﷺ ليس في أثناء الوحي، بل في حياته بشكل عام.

ثالثًا: الأقوال في نوع (لا) في الآية.

1- (لا) على معنى النهي، ذكره الماتريدي[82]، وعبد الكريم الخطيب وقال "يراد به النصح والتوجيه"[83]، وابن عاشور وقال أن النهي "هو نهي رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة"[84]، وعلى معنى النهي كان أغلب المفسرين، لكنّ المذكورين هنا –بحسب اطلاع الباحثين– ذكروا معاني بلاغية لهذا النهي.

2- (لا) ليست على معنى النهي بل هو إشارة إلى الكفاية، أيّ: أن النبيّ ﷺ كُفي مؤونة الاستذكار، ذكره الماتريدي[85].

فمما سبق يظهر لنا أن موطن النزاع في هذه الآية، كان حول ثلاث قضايا رئيسة يوضحها المخطط الآتي:

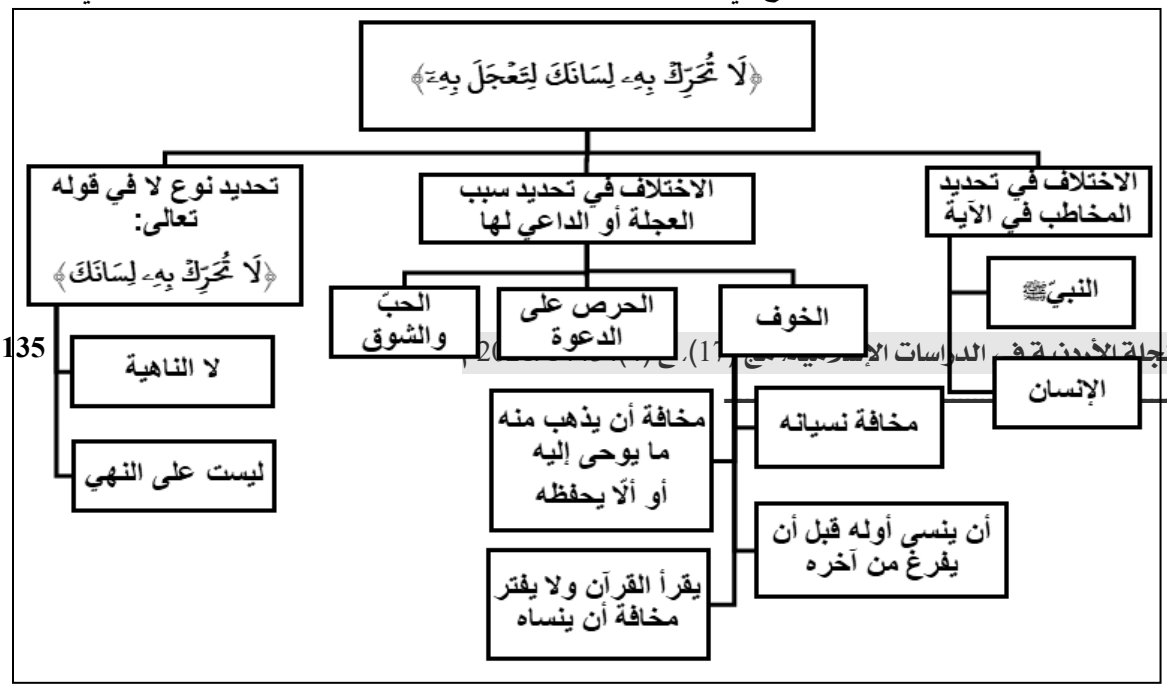

الشكل (1): مخطط الخلافات في الآية الكريمة.

المطلب الثاني: أدلة المفسرين، ومناقشتها.

لا بدّ من الوقوف مع أدلة المفسرين في الأقوال السابقة ومناقشتها، ثم بيان الرأي المختار منها جمعًا بين الآراء، أو ترجيحًا بينها، أو استظهارًا لقولٍ جديدٍ، وأمّا ميزان الاختيار والترجيح فهو تابعٌ لما تحتاجه الآية غير أنه لا يخرج عن: القرآن الكريم، والسياق؛ ويشمل سياق الآيات في السورة والسياق القرآنيّ، والمنقول، واللغة، والعقل.

أولًا: تحديد المخاطب في الآية.

ذكر الأدلة، ومناقشتها:

انقسمت الأقوال في تحديد المخاطب في الآية إلى قسمين، ولكل منهما عدد من الأدلة كالآتي:

1- المخاطب هو النبيّ ﷺ وهو قول جمهور المفسرين: وقد استدل الجمهور على هذا الرأي بعدة أدلة، هي:

- **المنقول:** استدلوا بسبب النزول الوارد في الصحيحين ومسند الإمام أحمد، وسنن الترمذي والنسائي، وقد قيل أنّ المخاطب فيها هو النبيّ ﷺ وأن فيها تطمين له بأنّ الله تعالى قد تكفل في حفظ كتابه وتثبيته في قلبه، ومن هذه الروايات قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس في قوله: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾** قال:كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فأنزل الله: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ﴾**، قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: **﴿فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُۥ﴾**، قال: فاستمع له وأنصت: **﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُۥ﴾**، ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبيّ ﷺ كما قرأه"[86]، وكذلك استدلوا مع سبب النزول بقرينة الحال على أن الضمير في (به) عائد على القرآن[87]، فيُفهم من قولهم هذا أنّ المخاطب هو النبيّ ﷺ.

- **السياق:** وهذا على وجهين:

- **سياق الآيات في السورة:** ذهبوا إلى أنّ السياق يدل على أنّ المخاطب هو النبيّ ﷺ تبعًا؛ لأنّ الضمير في (به) عائدٌ للقرآن لدلالة سياق الآية على هذا[88]، ولدلالة آيات من القرآن على هذا نحو: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: 1]، والمعنى لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي من قبل أن يقضي إليك وحيه[89]، **نقول:** وقد يكون الألوسي وغيره قد ذهبوا لهذا بناءً على ما ترجح عندهم من رواية صحيحة في سبب نزول هذه الآية.
- **سياق الآيات المتشابهة:** قد يكون استدلالهم على أن الضمير في (به) عائد على القرآن وبناءً عليه فالمخاطب هو النبيّ ﷺ، ما ورد في سياق مشابه في سوره طه وهو قوله: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه:114][90]، **نقول:** هنا النهي واضح عن العجلة في تلقي القرآن الكريم، فقد يكون ترجيحهم أن الضمير عائدٌ على القرآن الكريم جاء بناءً على السياق القرآنيّ، خاصة أنّ خطاب النبيّ ﷺ بالنهي عن التعجل (بلفظ التعجل) قد ورد في القرآن في أربعة مواضع؛ اثنان منهما في التوصية بالصبر على الكافرين والنهي عن استعجال عذابهم الذي سيقع بهم لا محالة وهو في قوله: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾[مريم: 84]، وقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[الأحقاف: 35]، والموضعين الآخرين تعلقا بالقرآن الكريم وكان أولهما في قوله: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه: 114]، والثاني في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة: 16]، لذلك قد يكون ترجح لديهم أن آية القيامة مشابهة لمّا في طه، فعاد الضمير عندهم على النبيّ ﷺ، وبالتالي فالمخاطب هو النبيّ ﷺ، بناءً على السياقات القرآنية المتشابهة.

- **اللغة:** ضعّف ابن عاشور أن يكون المخاطب في هذه الآيات أحداً غير النبيّ ﷺ؛ لأنّ معاني الألفاظ الواردة في الآية تنبو عن ذلك[91]، **نقول:** وقد يكون مقصده أنّ الألفاظ في الآية لا تحتمل الوجه القائل: إن المخاطب هو الإنسان، ذلك أنّ في هذا تحميل للألفاظ معاني لا تحتملها.

2- المخاطب هو الإنسان وهو قول منسوب للقفال: والظاهر أنّ القفال قد ذهب إليه؛ ليدفع شبهة الانقطاع في السياق، وقد استدل على رأيه بدليلين:

- **العقل:** أيّ أنّه ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به نقله الرازي عنه[92]، **نقول:** لكن حقيقة ما يدفعه هو الصحيح المأثور في سبب النزول.
- **السياق:** وذلك تبعًا لأنّ ضمير (به) في لا تحرك لسانك به، وكذا الضمائر بعد، ترجع للكتاب المشار إليه بقوله: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾، على قول من فسّر البصيرة بالكتابين، ولعل الجملة على هذا الوجه في موضع الحال من مفروع (يُنَبَّأُ) بتقدير القول كأنه قيل: "يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ عند أخذ كتابه بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ مقولا

له لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ"[93]، **نقول:** هذا تعليل من القفال بناءً على الدليل العقليّ السابق.

الرأي المختار:

فيما سبق من نقاش وبما ظهر من الاستدلالات فإنّ الراجح عند الباحثين أنّ المخاطب في الآية هو النبيّ ﷺ، بناءً على ما يأتي:

1- **المنقول:** فقد وردت أحاديث صحيحة تبيّن أن سبب نزول الآية هو الحال الذي كان يعتري النبيّ ﷺ عند نزول الآيات عليه، كما أنّ هذا الدليل المأثور يدفع الرأي القائل بأنّ المخاطب في الآيات هو الإنسان.

2- **اللغة والسياق:** وقد أدمجا لتكاملهما في الترجيح، ويظهر هذا في أمرين:

- لفظ (عجل) كما قال ابن فارس: "العين والجيم واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الإسراع، والآخر على بعض الحيوان، فالأول: العجلة في الأمر"[94]، وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم في سبع وثلاثين موضعاً بمعنى التعجل، أيّ: الإسراع، وقد خوطب النبيّ ﷺ في أربعةٍ منها كما ذُكر سابقًا[95]، وقد جاء الخطاب في سورة طه والقيامة في النهي عن التعجل في أخذ القرآن الكريم، والذي يدفع الباحثان للقول بمشابهة التعجل في سورة القيامة بالتعجل في سورة طه، هو تشابه السياقات بين السورتين، فالآية في طه: **﴿وَلَا تَعجَل بِٱلقُرءَانِ مِن قَبلِ أَن يُقضَىٰٓ إِلَيكَ وَحيُهُۥ﴾**، سُبقت بالحديث عن يوم القيامة ووصف أهواله وملاقاة كل إنسان لما يستحقه من المصير، ثمّ أُتبعت بالحديث عن فتنة الشيطان لآدم والتي يظهر فيها حب الخير الدائم أو التعجل في نيل هذا الخير وهو الخلود والملك الذي لا يبلى، وهذا السياق يشترك مع آيات سورة القيامة، فالآية التي جاء فيها النهي عن التعجل، سُبقت بالحديث عن يوم القيامة وأهواله، ثم جاء قوله: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾**، ثمّ بعد ذلك تحدثت عن الإنسان وحبه للدنيا وانشغاله فيها وفتنته بها، وبناءً على هذا التشابه ترجح لدى الباحثين أن المخاطب هنا هو النبيّ ﷺ، كما كان هو المخاطب في طه.
- الضمير في (به) عائدٌ على القرآن بناءً على التشابه في السياق المذكور سابقًا، ففي سورة طه ورد ذكر القرآن صراحة: **﴿وَلَا تَعجَل بِٱلقُرءَانِ﴾** وفي سورة القيامة ذكر الضمير: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾**.

ثانيًا: تحديد سبب العجلة وتحريك اللسان والداعي له.

ذكر الأدلة، ومناقشتها:

تنوعت أقوال المفسرين في السبب الداعي لهذه العجلة واختلفت عباراتهم في التعبير عنها، إلّا أنه من الممكن أن نجعلها على ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

1- الحب والشوق لآيات القرآن الكريم.

2- الحرص على الدعوة.

3- الخوف، ويندرج تحته وجوه هي: مخافة نسيانه، أو مخافة أن يذهب منه ما يوحى إليه، أو أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، أو مخافة ألّا يحفظه، أو أنّه يقرأ القرآن بتعجل ولا يفتر، أو أنّه بالتعجّل يستنكر القرآن، والظاهر أن القولين الأخيرين إنما يكونا بعد الوحي، وليس في أثناء الوحي لذلك يستبعد الباحثان أن يكونا مقصودين في هذه الآية.

وقد نقل المفسرون هذه الأقوال عن أئمة التفسير كابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والحسن البصري، وعامر الشعبيّ، والضحاك وغيرهم، يجدر الإشارة إلى أنّ المفسرين قد نقلوا عن هؤلاء الأئمة في بعض الأحيان أكثر من سبب في علة التعجيل، فمثلًا نقل عن ابن عباس أن العلة في العجلة؛ خوف النسيان وحبه وتشوقه للقرآن الكريم، ونُقل عن عامر الشعبيّ أن العلة؛ حبه للقرآن وحرصه على الدعوة، ونُقل عن الضحاك أن العلة؛ حبه وتشوقه للقرآن الكريم وخشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، وغير ذلك.

أما الأدلة التي اعتمدوها في أقوالهم:

- **المنقول:** فقد اعتمد أغلب المفسرين على المنقول من روايات أسباب النزول، ومنها استنبط هؤلاء الأئمة علة التعجل ونقلها المفسرون عنهم، وأبرز من أجاد في ذكر الأقوال معتمدًا على الروايات هو الإمام الطبريّ، فقد كان يذكر القول متبعًا إياه بالأسانيد الدالة عليه(96).
- **اللغة:** اعتمد بعضهم على اللغة في بيان علة التعجل، ومن ذلك حملهم (حرف الباء) في: ﴿**لِتَعجَلَ بِهِ**﴾، على التعدية، وبناءً عليه جمع الشهاب الخفاجيّ والألوسيّ بين أن العلة تجوز أن تكون بسبب خوف أن ينفلت منه شيء أو أنه لمزيد حبه وحرصه على أداء الرسالة(97)، وتسمى باء النقل كما في مغني اللبيب وتقوم مقام الهمزة في تصيير الفاعل مفعولًا(98)، فيكون المعنى بناء على هذا؛ تأخذه على عجل لعلة الخوف أو الحب والحرص على التبليغ.
- **السياق:** وممن ذهب لهذا الإمام الطبريّ فقد رجح اعتمادًا على السياق أن العلة هي الحب والاشتياق، تبعًا للآية التي تليها: ﴿**إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وَقُرءَانَهُ**﴾، فقال: "ينبئ أنه إنما نُهى عن تحريك اللسان به متعجلا فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبيّ ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك"(99).

الرأي المختار:

الناظر في هذه الأقوال يُدرك أنّ الخلاف هنا خلاف صوريّ، بمعنى ألّا مانع من اجتماع هذه العلل، فلا تعارض بينها، والدليل على هذا:

- **القرآن الكريم:** يحتمل أن يكون التحريك منه خوف النسيان وذلك لقوله: ﴿**سَنُقرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ**﴾[الأعلى: 6]، فجاءت الآية تطمئن النبيّ ﷺ أنه سيحفظ الآيات فلا ينساها.

- **المنقول:** من الثابت عندنا أنّ النبيّ ﷺ، كان يشـتاق للوحيّ ويحب أن يكثر من مجيئه ومن ذلك ما ورد في صـحيح البخاريّ عن ابن عباس أنه قال:" قال رسول الله ﷺ لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟، قال: فنزلت: **﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَينَ أَيدِينَا وَمَا خَلفَنَا﴾**[مريم: 64] الآية"[100]، وقد ثبت في السيرة أن النبيّ ﷺ، كان يُصاب بالهمّ إذا أبطأ عنه الوحي.
- **العقل:** أن النبيّ ﷺ إنسان وقد تعتريه مشاعر خوف النسيان، أو العجلة لتلقي هذه الآيات وتبليغها من دافع الحرص؛ تبعًا للطبيعة البشرية والجبلة الإنسانية، فجاء في الآية تنبيه على ترك الاستعجال، وليس في هذا انتقاص منه أو من نبوته.
- **سياق الآيات القرآنية المتشابهة:** فقد ذُكر في الدراسة سابقًا[101] أن سورتيّ طه والقيامة تشتركان في الجو العام الذي جاءت فيهما الآية، فهما تتحدثان عن يوم القيامة وفتنة الإنسان بالدنيا العاجلة وانشغاله بها عن الآخرة، وفي وسط هذا الكلام جاء الحديث عن القرآن الكريم والنهي عن العجلة في تلقيه، فيمكن أن يدل هذا على أنّ علة عجلة النبيّ ﷺ في تلقي الوحي تجتمع فيها مشاعر الحب والحرص على تبليغ الدعوة وتنبيه الغافلين من الناس، مع خوفه من نسيان شيء مما حفظه، فجاءت الآية كتوجيهٍ ربانيّ على ترك هذه العجلة التي لا تأتي بخير، وإن كان ما يستعجله في حقيقة الأمر خير، ويزيد هذا القول انسجامًا سياق الآيات فيما بعد؛ فقد أُعقب النهي عن العجلة في تلقي القرآن، بذكر مثال على عاقبة الاستعجال، ففي سورة القيامة ذكر انشغال الإنسان بالدنيا العاجلة عن الآخرة والنتيجة على هذا، وفي سورة طه ذكر فتنة آدمعليه السلام وعاقبة تعجله لنيل الخلد والملك الذي لا يبلى.

وقد يُعترض على هذا بأن في مثل هذا القول تجويز للذنب على الأنبياء، ويمكن ردّ هذا الاعتراض بأنّ القرآن قد ضمّ بعضًا من التوجيهات للنبيّ ﷺ في طريق الدعوة من ذلك قوله: **﴿إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِٱلمُهتَدِينَ﴾**[القصص: 56]، وقوله: **﴿فَلَا تَذهَب نَفسُكَ عَلَيهِم حَسَرَٰتٍ﴾**[فاطر: 8]، وقوله: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبتَغِي مَرضَاتَ أَزوَٰجِكَ﴾**[التحريم: 1]، وقوله: **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلأَعمَىٰ * وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَو يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكرَىٰٓ﴾**[عبس: 1-4] إلى آخر الآيات، فكما كان في هذه الآيات توجيهات للنبيّ ﷺ، فيحتمل أن تكون هذه الآية من ضمنها، وليس في هذا انتقاص منه ﷺ.

ثالثًا: تحديد نوع (لا) في الآية.

ذكر الأدلة، ومناقشتها.

انقسمت الأقوال فيما يتعلق بنوع (لا) في الآية إلى قسمين:

1- (لا) الناهية: ذهب إليه جمهور المفسرين ولم يجدوا فيه إشكالًا أو مانعًا يمنع من حمله على حقيقته في النهي، وزاد بعضهم معاني بلاغية للنهي من ذلك ما ذكره عبد الكريم الخطيب فقال: "هو نهي يراد به النصح والتوجيه إلى ما

ينبغي أن يكون عليه النبيّ ﷺ مع الوحي"[102]، وما ذكره ابن عاشور إذ قال: "إن النهي هو نهي رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة"[103]، وقد يكون **الحامل** لهم على هذا أن اللفظ لا يعدل به عن معناه الحقيقيّ لمعنى آخر إلّا بدليل أو مانع من الحمل على المعنى الحقيقيّ، ولا وجود لهذا هُنا، فإن هذا كما أشرنا سابقًا ليس فيه تجويز للذنب على الأنبياء رضوان الله عليهم، وليس فيه شهادة على النبيّ ﷺ بما ينتقص منه حاشاه، فهي تدخل في باب الإرشادات من الله تعالى لنبيه في طريق الدعوة.

2- **(لا)** ليست على معنى النهي: بل على معنى البشارة للنبيّ ﷺ بالكفاية أيّ؛ أنك قد كُفيت مؤنة الاستذكار للحفظ، وقد ذهب إلى هذا القول الماتريدي، ودليله على هذا يتمثل فيما يأتي:

- **العقل:** فابتدأ بتضعيف كون **(لا)** على معنى النهي كما يأتي[104]:

– عدم جواز الشهادة على النبيّ ﷺ بأنّه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الآية مخافة النسيان إلا بأخبار متواترة؛ لأنّه لا تجوز الشهادة على رسول الله ﷺ أنّه كان يفعل ذلك إلّا بتواتر الأخبار، فأمّا أن يثبت بخبر واحد فلا.

– لا يقال بأنه لو لم يتقدم منه التحريك، لكان لا معنى للنهي؛ فإنّه ليس فيه ما يثبت مقالتهم، ويصحح تأويلهم، ويسوغ لهم الشهادة؛ لأنّه يستقيم في الابتداء أن يُنهى فيقال: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ)، ولا تفعل كذا، وإن لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل، ولا تقدّم منه تحريك لسان؛ فثبت أنه ليس في ضمن هذه الآية بيان ما ادعوا.

ثمّ بعد ذلك بيّن أنّ الأفضل حمله على معنى كفاية مؤونة الاستذكار وذلك؛ "لأنّ فيه بيان لعظيم آيات الرسالة بأنّ السورة تلقى عليه؛ فيحفظها كما هي، مما يشتد على الناس حفظه وقراءته إلا أن يتكلفوا، ويجتهدوا في ذلك؛ فيُعلم بهذا أن الله ﷻ هو الذي أقدره على ذلك، وجعله آية من آياته"[105].

ثم أعقبه بكلام طويل لكنه من حيث لا يدري ناقض نفسه بما ذكره فيما بعد، فمن الكلام الذي ذكره: "الأصل أن من ألقى إلى آخر كلامًا متتابعًا نظر في ذلك الكلام: فإن كان القصد منه حفظ عين الكلام، فإن المخاطب به لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام، بل يشتغل بالتقائه وتحفظه ساعة ما يلقى إليه، وأمّا إذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه، وإنّما أريد به تفهيم ما أودع فيه من المعنى، فالعادة في مثله الإصغاء إلى آخر الكلام؛ ليفهم معناه، وما يراد به"، ثمّ قال: "والقرآن قصد به الوجهين جميعًا: ضبط حروفه ونظمه، وتعرف ما أودع فيه من المعاني، فقيل: لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل من يريد التقاء الكلام الذي يلقى إليه؛ فإنك وإن أحوجت إلى حفظ نظمه وحروفه، فقد كفيت حفظه بدون تحريك اللسان، وجائز أن يكون نُهي عن تحريك اللسان والمبادرة إلى حفظه قبل أن يُقضى إليه بالوحي؛ لما فيه من ترك التعظيم لمن يأتيه بالوحي، فأمر أن يصغي إليه سمعه، ويستمع إلى آخره؛ تعظيمًا للذي أتاه بالوحي، وتوقيرًا له".[106]

فتراه في هذا الكلام عاد وأثبت أنّ **(لا)** هي على معناها من النهي حقيقةً، وليس فيها من الموانع ما ذكره سابقًا.

الرأي المختار:

مما سبق نلاحظ أن الماتريدي عندما حاول نفي أن تكون (لا) على معناها من النهي، لم يستقيم له ذلك بل تبيّن أنّ إنكاره لا يستقيم، وأن (لا) على معناها في النهي حقيقة وأنّ هذا ليس فيه إشكالٌ، بل هو منسجم مع الآية عقلًا وديانةً، وما يدفع الباحثان إلى هذا الترجيح السياقات القرآنية المختلفة المتمثلة ببعض الأوامر والنواهي، والإرشادات في طريق الدعوة، كما أشرنا في الترجيحات عند توضيح علة العجلة في الآية. (107)

الخاتمة.

في ختام الدراسة وختام التطواف بين كتب التفسير المختلفة، ومحاولة الاستقراء الدقيق بقدر الطاقة البشرية لأقوال المفسرين، فإنّ أهم ما توصل إليه الباحثان ما يأتي:

1- افترقت آراء المفسرين وظهر موطن النزاع عندهم في قوله: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ﴾**[القيامة: 16]، متمثلًا بثلاث قضايا رئيسة: وهي تحديد المخاطب في الآية، وتحديد علة العجلة، وتحديد نوع (لا) فيها.

2- اختلف المفسرون في تحديد المخاطب في الآية على قولين؛ أولهما: أنّه النبيّ ﷺ وهو قول الجمهور، ثانيهما: أنّ الخطاب عام لكل إنسان وهو رأي القفال، وترجّح الدراسة رأي الجمهور بدليل الصحيح المأثور من النقل، يعاضده سياق السورة، وسياق الآيات المتشابهة في سورة طه، واللغة.

3- اختلف المفسرون في تحديد سبب العجلة والداعي لتحريك اللسان على أقوال كثيرة، تجتمع تحت علل ثلاثة، وهي: الحب والشوق للقرآن، والحرص على الدعوة، والخوف من النسيان، وترجّح الدراسة أنّ الخلاف صوريّ ويمكن الجمع بين الأقوال، بدليل المنقول من القرآن والسنة، وبدليل العقل، وبدليل سياق الآيات المتشابهة مع سورة طه.

4- اختلف المفسرون في تحديد نوع (لا) في الآية، فحملها الجمهور على معناها الحقيقيّ من النهي، وأخرجها الماتريدي عن معناها الحقيقيّ، وحملها على معنى كفاية النبيّ ﷺ مؤونة الاستذكار؛ لأنّ الله تعالى سيحفظ الآيات في صدره، وترجّح الدراسة أنّها على معناها الحقيقي من النهي، لعدم امتناع حملها على ذلك ديانةً وعقلًا، ولضعف حجج الماتريدي، ومناقضته لنفسه بحملها بعد ذلك على معناها الحقيقي.

وفي ختام الدراسة، فإن الباحثين يوصيان بالآتي:

1. توسيع دائرة التطبيق في التفسير المقارن، بهدف إثراء المكتبة التفسيرية؛ ذلك لأن مثل هذه الدراسات تعمل على حل إشكالات عديدة حول آيات القرآن الكريم، وخاصّة ما يتعلق بمشكل القرآن ومتشابهه.
2. وضع فهرست أو جمع الآيات التي يمكن بحثها بشكل مقارن، لحل ما قد يعرض للباحثين في باب المُشكل والمتشابه، وفي بعض القضايا الفقهية، والعقدية، وغيرها مما قد يكون لبنة مساعدة لحلّ الإشكال وجمع الآراء وتوضيحها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش.

(1) ينظر: الزركشي، بدر الدين (ت 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (ط1)، (1376هـ/1957م)، ج1، ص193. وكذلك كتاب الإتقان للسيوطي، فقد كانت القيامة في الروايات التي أوردها الثلاثون في النزول، ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص40-43.

(2) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس، ط(1984هـ)، ج29، ص337.

(3) ينظر: أبو عمرو الداني، عثمان (ت 444هـ)، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، (ط1)، (1414هـ/1994م)، ص259، وقد راجع الباحثان مصحف ورش عن نافع الصادر عن دار الفكر في الأردن، بإشراف الدكتور إبراهيم توفيق ضمرة، (ط1)، (2014م)، وقد ظهر للباحثين أن الخلاف كما أشار الداني في فاصلة لتعجل به كالآتي في الكوفي جعلها نهاية آية: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾**[القيامة: 16-18]، أما في العد المدني المتبع في المصحف فلم تكن نهاية آية كالآتي: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾**[القيامة: 16-17].

(4) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين (ت 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1418هـ)، ج9، ص362.

(5) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص336.

(6) ينظر: الألوسي، شهاب الدين (ت 1270هـ)، روح **المعاني**، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1415هـ)، ج15، ص150.

(7) ينظر: السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط(1974م)، ج1، ص187-197.

(8) ينظر: ابن سلام، أبو عبيد (ت 224هـ)، **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان عطية وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، (ط1)، (1415هـ)، ص225. وينظر: طرهوني، محمد بن رزق، **موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح)**، مكتبة العلم، جدة، (ط2)، (1414هـ)، ج2، ص207، وقد حقق الكتاب ما ورد في فضل المفصل في الجزء الأول من الكتاب، دار ابن القيم، الدمام، (ط1)، (1409هـ)، ص128-ص131، وهو حديث حسن لشواهده، وذكر ما جاء فيه من الموقوفات، والمراسيل.

(9) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق (ت 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1422هـ)، ج5، ص401.

(10) ينظر: قطب، سيد (ت 1386م)، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط5)، (1386هـ/1967م)، ج8، ص376-378.

(11) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص337.

(12) ينظر: الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، (ط4)، (1981م)، ج3، ص482.

(13) ينظر: الشنقيطي، سيد محمد، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، مركز تفسير للدراسات القرآنية، السعودية، (ط3)، (1437هـ)، ص577.

(14) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج8، ص379-389.

(15) ينظر: الزحيلي، وهبة (ت 1436هـ)، **التفسير المنير**، دار الفكر المعاصر، دمشق، (ط2)، (1418هـ)، ج29، ص249-250.

(16) ينظر: حوّى، سعيد (ت 1409هـ)، **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، (ط6)، (1424هـ)، ج11، ص6260-6274.

(17) ينظر: أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم (ت 708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، (1410هـ/1990م)، ص351-352. وينظر: أبو حيان، محمد (ت 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، (1420هـ)، ج10، ص343. وينظر: البقاعي، إبراهيم (ت 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج21، ص84. وينظر: المراغي، أحمد ابن مصطفى (ت 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، (ط1)، (1365هـ)، ج29، ص144. وينظر: الخطيب، عبد الكريم (ت 1390هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ج15، ص1311. وينظر: حوّى، **الأساس في التفسير**، ج6274/11. وينظر: الشنقيطي، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص575.

(18) ينظر: أبو جعفر، **البرهان في تناسب سور القرآن**، ص352-353. وينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج21، ص121. وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج29، ص159. وينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج15، ص1349. وينظر: الشنقيطي، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص578.

(19) ينظر: الرازي، فخر الدين (ت 606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3)، (1420هـ)، ج30، ص726-727.

(20) ينظر: الخطابي، أبو سليمان (ت 388هـ)، **(بيان إعجاز القرآن) ثلاث رسائل في الإعجاز**، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، (ط5)، (2008م)، ص51.

(21) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص48.

(22) ينظر: ابن جزي، أبو القاسم محمد (ت 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (ط1)، (1416هـ)، ج2، ص434.

(23) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص158.

(24) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص157-158.

(25) القفال هو: محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي، نسبة إلى الشاش، وهي مدينة وراء نهر سيحون، خرج منها جماعة من العلماء، ولد سنة (291هـ)، وقد كان إمامًا في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع والزهد والورع واللغة والشعر ذاكرًا للعلوم محققًا لما يورده حسن التصرف فيما عنده فردًا من أفراد الزمان، قال فيه أبو عاصم العبادي هو أفصح

الأصـحاب، وقال الشـيخ أبو إسـحاق الشـيرازي له مصـنفات كثيرة ليس لأحد مثلها وهو أول من صـنف الجدل الحسـن من

الفقهاء، واختلفوا في وفاته فقال أبو إسحاق الشيرازي توفي في (336هـ)، وقال الحاكم أبو عبد الله توفي بالشاش (365هـ) ووافقه ابن السمعانيّ ورجحه السبكيّ. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (ط1)، (1971م)، ج4، ص200-201. وينظر: السبكيّ، تاج الدين (ت 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط2)، (1413ه)، ج3، ص200-203.

(26) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص350.

(27) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص159، وقال القاسمي معلّقًا على رأي القفال: "هذا الوجه فيما يظهر فيه غاية القوة والارتباط به قبله وما بعده، مما يؤثره على المأثور، الذي قد يكون مدركه الاجتهاد، والوقوف مع ظاهر ألفاظ الآية، ومما يؤيده ما أورد عليه أن ابن عباس لم ير النبيّ ﷺ في تلك الحال؛ لأن الظاهر أن ذلك كان في مبدأ البعث النبوي، ولم يكن ابن عباس ولد حينئذ."، ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين (ت 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (1418ه)، ج9، ص367.

(28) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج3، ص376-378.

(29) ينظر: حوّى، **الأساس في التفسير**، ج11، ص 6267-6268.

(30) ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، (ط1)، (1422هـ)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله؟، حديث(5)، ج1، ص8، ووردت كذلك في كتاب التفسير، باب سورة القيامة، حديث(4927)، ج6، ص163، وفي باب {إن علينا جمعه وقرآنه}، حديث(4928)، ج6، ص163، وفي باب قوله: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}، قال ابن عباس: {قرأناه}: «بيناه»، {فاتبع}: «اعمل به» حديث(4929)، ج6، ص163.

(31) ينظر: مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن (ت 261ه)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، حديث(147) و(148)، ج1، ص330.

(32) ينظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (ط1)، (1416ه)، حديث(1910)، ج2، ص448+ حديث(3191)، ج3، ص372.

(33) ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى (ت 279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: إبراهيم عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (ط2)، (1395ه)، باب ومن سورة القيامة، حديث(3329)، ج5، ص430.

(34) ينظر: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد (ت 303هـ)، **سنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، (ط2)، (1406ه)، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، حديث(935)، ج2، ص149.

(35) ينظر: الوادعي، مقبل بن هادي (ت 1422هـ)، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ط4)، (1408ه)، ص226.

(36) ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث (5)، ج1، ص8.

(37) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج30، ص727.

(38) ينظر: البيضاوي، ناصر الدين (ت 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، (1418هـ)، ج5، ص266.

(39) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص348.

(40) ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط1)، (1420هـ/2000م)، ج24، ص65-66.

(41) ينظر: ابن فورك، أبو بكر محمد (ت 406هـ)، **تفسير ابن فورك (من أول سورة نوح-إلى آخر سورة الناس)**، تحقيق: سهيمة بنت محمد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (ط1)، (1430/2009م)، ج3، ص96.

(42) ينظر: ابن أبي طالب، أبو محمد مكي (ت 437هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة، الشارقة، (ط1)، (1429هـ/2008م) ج12، ص7873.

(43) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي (ت 450هـ)، **تفسير الماوردي (النكت والعيون)**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6، ص155.

(44) ينظر: السمعاني، أبو المظفر منصور (ت 489هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخر، دار الوطن، الرياض، (ط1)، (1997م)، ج6، ص106.

(45) ينظر: القرطبي، شمس الدين (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2)، (1964م)، ج19، ص106.

(46) ينظر: ابن عادل، أبو حفص سراج الدين (ت 775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط1)، (1998م)، ج19، ص559.

(47) ينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج15، ص1323.

(48) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص404.

(49) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص348.

(50) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص157.

(51) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص67.

(52) ينظر: ابن فورك، **تفسير ابن فورك**، ج3، ص96.

(53) ينظر: ابن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج12، ص7873.

(54) ينظر: الماوردي، **تفسير الماوردي**، ج6، ص155.

(55) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج6، ص106.

(56) ينظر: البغي، أبو محمد الحسين (ت 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، (1420 هـ)، ج5، ص185.

(57) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3)، (1407هـ)، ج4، ص661.

(58) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص404.

(59) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج19، ص106.

(60) ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج2، ص433.

(61) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10/ ص348.

(62) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعي (ت 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط2)، (1999م)، ج8، ص279.

(63) ينظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج19، ص559.

(64) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن (ت 911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ج8، ص348.

(65) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج5، ص266.

(66) ينظر: النسفي، أبو البركات عبد الله (ت 710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، (ط1)، (1988م)، ج3، ص572.

(67) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص348.

(68) ينظر: الخطيب الشربيني، شمس الدين (ت 977هـ)، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، (1285هـ)، ج4، ص442.

(69) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص279.

(70) ينظر: الواحدي، أبو الحسن (ت 468هـ)، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، (ط1)، (1430هـ)، ج22، ص496.

(71) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين (ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط1)، (1422هـ)، ج4، ص371.

(72) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج30، ص728.

(73) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد (ت 982هـ)، **تفسير أبو السعود**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج9، ص66.

(74) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دمشق، (ط1)، (1414هـ)، ج5، ص406.

(75) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص157.

(76) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص67.

(77) ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد (ت 427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، (1422هـ/2002م)، ج10، ص87.

(78) ينظر: السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج8، ص348.

(79) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص67.

(80) ينظر: السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج8، ص348.

(81) ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج2، ص433.

(82) ينظر: الماتريدي، محمد (ت 333هـ)، **تفسير الماتريدي**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (2005م)، ج10، ص345.

(83) ينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج15، ص1322.

(84) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص350.

(85) ينظر: الماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ج10، ص345.

(86)اختار الباحثان رواية واحدة من هذه الروايات، وقد وردت غيرها بذات اللفظ أو نحوه في عدد من كتب الحديث الصحيحة وكتب أسباب النزول، ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله؟، حديث(5)، ج1، ص8، ووردت كذلك في كتاب التفسير، باب سورة القيامة، حديث(4927)، ج6، ص163، وفي باب {إن علينا جمعه وقرآنه}، حديث(4928)، ج6، ص163، وفي باب قوله: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}، قال ابن عباس: {قرأناه}: «بيناه»، {فاتبع}: «اعمل به» حديث (4929)، ج6، ص163، وينظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، حديث(147) و(148)، ج1، ص330، وينظر: ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، حديث(1910)، ج2، ص448، وحديث(3191)، ج3، ص372، وينظر: الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ومن سورة القيامة، حديث(3329)، ج5، ص430، وينظر: النسائي، **سنن النسائي**، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، حديث(935)، ج2، ص149، وينظر: الوادعي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، ص226.

(87) ينظر: ابن جزيّ، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج2، ص433.

(88) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج5، ص404. وينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج10، ص348.

(89) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص157. وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص349.

(90) ينظر: الواحدي، **التفسير البسيط**، ج22، ص496-497. وينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج19، ص106. وينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص278. وينظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج19، ص559. وينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج15، ص1322. وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج29، ص263

(91) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص349-350.

(92) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج30، ص727.

(93) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص159.

(94) ينظر: ابن فارس، أحمد (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1399هـ)، ج4، ص237.

(95) ينظر: ص16 من الدراسة.

(96) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص65-67

(97) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين (ت 1069هـ)، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، دار صادر، بيروت، ج8، ص282. وينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج15، ص157

(98) ينظر: ابن هشام، عبد الله (ت 761هـ)، **مغني اللبيب**، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، ط(2015م)، ج1، ص119-120

(99) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج24، ص67

(100) ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث(3218)، ج4، ص112-113.

(101) ينظر: ص17 من الدراسة.

(102) ينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج15، ص1322.

(103) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج29، ص350.

(104) ينظر: الماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ج10، ص344-345.

(105) ينظر: الماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ج10، ص345.

(106) ينظر: الماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ج10، ص345-346.

(107) ينظر: ص20 من الدراسة.